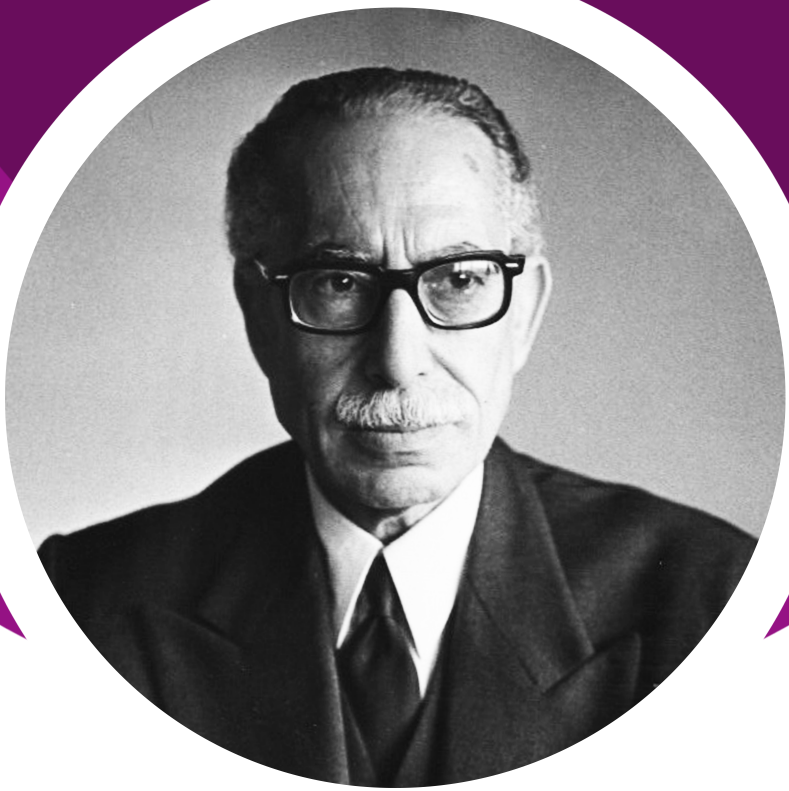

ساحرة

من وحي الحوادث الجارية

توفيق الحكيم

ساحرة

من وحي الحوادث الجارية

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

ساحرة

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٩٠٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٦.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

ساحرة

من وحي الحوادث الجارية

(حديقة الأسماك ... المقهى أو «البوفيه» وهو خالٍ من الجمهور ... والخادم أو «الجرسون» يُنظِّف الموائد وهو يترنَّم بأغنية شعبية ... وإذا بآنسة في السادسة والعشرين هي «سعاد»، تُقبِل بعجلةٍ وحَذَرٍ وهي تتلفَّت خلفها.)

سعاد (للجرسون في شِبه همسٍ): اسمع من فضلك يا ...
الخادم (يلتفت إليها بأدبٍ): أفندم!
سعاد: تسمح ... أكلِّفك بخدمة بسيطة؟
الخادم: خَدَّامك!
سعاد (تفتح حقيبة يدها وتُخرج منها ورقة بخمسة قروش): أولًا، خذ هذا لك.
الخادم (يتناول النقود): عشتِ يا ست!
سعاد (تُخرِج من حقيبتها ورقة صغيرة مطويَّة على شيء صغير): خذ هذا أيضًا.
الخادم: ما هذا؟
سعاد: قطعة سكر عادية.
الخادم: السكر عندنا كثير يا ست.
سعاد: مفهوم ... ولكنِّي أريد منك أن تَدُسَّ هذه القطعة في السكر الذي عندكم.
الخادم (غير فاهم): أدُسُّها في ...
سعاد: في إناء السكر الذي ستُحضِره إلينا الآن مع الشاي ... فهمت؟

الخادم: لا ... لم أفهم!

سعاد: بعد لحظة ... سيأتي هنا أفندي ويجلس معي وسنطلب الشاي ... فإذا أحضرتَ إناء السكر مع الشاي، فليَكُن فيه هذه القطعة.

الخادم: فهمتُ ... تريدين حضرتك أن أضع هذه القطعة في «السكَّريَّة» تعلقنا وأُحضِرها مع الطلب.

سعاد: مسألة بسيطة جدًّا.

الخادم (يتناول من يدها الورقة ويفتحها): قطعة سكر عادية!

سعاد: طبعًا عادية!

الخادم: وما هي الحكمة؟!

سعاد: هذا موضوع يخصُّني أنا وخطيبي الأفندي الذي سيأتي هنا بعد لحظة.

الخادم: لا مؤاخذة على السؤال (يفحص قطعة السكر) ... لا بد أن حضرتك معلِّمة قطعة السكر بعلامة.

سعاد: بالضرورة ... المهم أنك تنفذ طلبي بكل دقة.

الخادم: وخطيب حضرتك عنده خبر؟!

سعاد: بماذا؟

الخادم: بهذا الموضوع.

سعاد: لا ... طبعًا هذا سر بيني وبينك؛ لأن الحكاية حكاية مُداعَبة.

الخادم: مداعبة؟!

سعاد (تلتفت): صه ... ها هو ذا قادم ... نفِّذ ما طلبتُه منك ... ولا شأن لك بالباقي.

الخادم (وهو منصرف): لا شأن لي أبدًا ... الداخل بين البصلة وقشرتها ...

(يذهب الخادم ... ولا يلبث الأفندي الخطيب، وهو «عز الدين»، أن يظهر مسرعًا فيجد «سعاد» حائرة بين الموائد، كمن لا تدري أيها تختار.)

عز الدين (وهو ينظر إلى الساعة في معصمه): أبطأتُ عليك يا «سعاد»؟

سعاد: لا ... مطلقًا ... إنك في ميعادك.

عز الدين: بالدقيقة!

سعاد: أنا أيضًا يا «عز الدين» لم أسبقك بأكثر من لحظة ... إني، كما ترى، لم أجلس بعد.

عز الدين: أتريدين أن نجلس هنا من الآن؟ ... أَلَا نذهب أولًا لمشاهدة السمك؟

سعاد: السمك؟ ... أهذه أول مرة نأتي فيها إلى حديقة الأسماك؟!

عز الدين: ليست أول مرة ... هذا صحيح ... ولكن ربما جاءوا بنوع جديد من السمك.

سعاد: لم يأتوا بجديد ... كل مرة نقول ذلك ... ونجد السمك هو السمك لا زاد ولا نقص. اجلس يا «عز الدين» نشرب الشاي ونتكلَّم فيما هو أهمُّ.

عز الدين: نتكلم؟ ... لا ... نتمشَّى أولًا ... هذا أحسن ... نتمشَّى بين الأشجار كالعادة؛ لأن المكان هنا مكشوف ... وقد يأتي مَن يشغل بعض هذه الموائد فيُعكِّر علينا صفونا.

سعاد: ولماذا لا نشرب الشاي أولًا ثم نمشي في الحديقة بعد ذلك؟

عز الدين: أمرك!

سعاد: ما قولك في هذه المائدة المفردة تحت هذه الأغصان؟ (تتجه إلى ركن في المكان.)

عز الدين (وهو يتبعها)**:** جنان!

سعاد (تجلس إلى المائدة)**:** سأموت من العطش!

عز الدين (يجلس ويصفِّق بيدَيه مناديًا)**:** يا جرسون!

الخادم (من الخارج صائحًا)**:** حاضر.

عز الدين: من فضلك!

الخادم (يظهر)**:** أفندم سعادة البك!

عز الدين: شاي.

الخادم (صائحًا)**:** اثنين شاي! (ثم يخرج.)

سعاد (تعتدل في جِلستها)**:** والآن ... ماذا تحمل لي من أخبار سارَّة؟

عز الدين: لا شيء!

سعاد (في شيءٍ من الامتعاض)**:** لا شيء؟!

عز الدين: طبعًا ... ألا تقرئين الصحف؟! ... ما دام حزبنا بعيدًا عن الحكم فسأظل هكذا موظفًا في الدرجة الخامسة الإدارية.

سعاد (تتنهَّد)**:** نعم ... وسأظل أنا هكذا أسمع منك هذه النغمة المملوءة بالسخط والتبرم.

عز الدين: حظ ... حظ سيِّئ!

سعاد: حظك وحظي؟

عز الدين: بل حظ البلد ... هذا البلد المسكين الذي لم يوفِّقه الله إلى الحزب الذي يُصلِح فاسده، ويُقيم اعوجاجه، ويقضي على المحسوبية والحزبية والفوضى.

سعاد: هذا الحزب المُصلِح هو بالطبع الحزب الذي تنتمي أنت إليه!

عز الدين: بالتأكيد.

سعاد: إني معجبة بإيمانك الأعمى به!

عز الدين: وأنت؟ ... ألا تؤمنين به؟!

سعاد: إني أُومن بك أنت.

عز الدين: إيمانًا أعمى؟

سعاد (تُفكِّر قليلًا)**:** بل إيمانًا مُبصِرًا.

عز الدين: لا يا سعاد ... لا أريد هذا الإيمان المُبصِر مع جامعية مثلك! ... لأن عقلك الناضج، على الرغم منك، سيُبصِر عيوبي.

سعاد: اطمئن! ... عيوبك أراها وأعرفها ... وليس لها عندي أدنى تأثير.

عز الدين: عيوبي؟ ... ما هي عيوبي؟

سعاد: كثيرة ... أُخبِرك عنها فيما بعد.

عز الدين: متى؟

سعاد: عندما يحين الوقت ... أنتَ أيضًا سوف تذكر لي عيوبي.

عز الدين: ليس لكِ عيوب.

سعاد: غير معقول!

عز الدين: ثقي أني أتكلَّم عن إيمان.

سعاد: مثل إيمانك بحزبك؟

عز الدين: إني أرى فيكِ كل شيء جميلًا ... رفيعًا ... مهذبًا ... كريمًا ... لطيفًا ... رائعًا ... ساميًا ... رقيقًا ... بديعًا!

سعاد: العفو، العفو ... هذا كلام رجل غير مسئول.

عز الدين: غير مسئول؟

سعاد: غير مرتبط!

عز الدين: هذا كلام صادر عن إخلاص تام.

سعاد: آه لو استطاع هذا النوع من الإخلاص التام أن يعيش طويلًا في جو الحياة الزوجية!

عز الدين: وبغير هذا الشرط ... إنه يستطيع أن يعيش جيدًا في حياة الصداقة.

سعاد (ممتعضةً)**:** أرأيتَ؟! ... إنك تتحاشى معي دائمًا لفظ الزواج!

عز الدين: لم ألاحظ ... لم أقصد!
سعاد: بل تقصد!
عز الدين: «سعاد» ...!
سعاد: ليست هذه أول مرة.
عز الدين: إني ...
سعاد: أنت حر.
عز الدين: ثقي يا «سعاد» أني ...
سعاد: صه! ... «الجرسون» قادم!

(يظهر الخادم وهو يحمل صينية عليها مُعَدَّات الشاي، ويضع فنجانَين فوق المائدة ... أمام كلٍّ منهما فنجان ... ويضع الأباريق وآنية السكر، ثم يُشير إليها بطرف عينه إشارةً خفيةً تفهمها «سعاد»، فتضغط على شفتها السفلى مشيرةً إليه بالصمت ... ويذهب هو بعدئذٍ إلى آخر المكان، ويتشاغل بمسح الموائد قليلًا، ثم ينصرف.)

عز الدين (يمُدُّ يده نحو الإبريق): تريدين الشاي باللبن؟
سعاد (تُسرِع إلى آنية السكر): لا ... دعني أنا أتولَّى عنك ذلك ... تريد قطعة واحدة من السكر كالعادة؟
عز الدين: نعم.
سعاد (وهي تُحدِّق في السكَّريَّة وتستخرج منها قطعة بالذات): قرِّب فنجانك! (تضع فيه قطعة السكر ثم تتناول الإبريق بسرعة وتصبُّ) شاي بدون لبن طبعًا.
عز الدين: طبعًا ... أشكرك!
سعاد (وهي تملأ لنفسها فنجانها): أما أنا فأعصابي لا تحتمل الشاي بغير قليل من اللبن.
عز الدين (وهو يُقلِّب فنجانه بالملعقة): نعم ... أعصابك يا «سعاد» في حاجة إلى الهدوء ... إنك تغضبين لأقل سبب.
سعاد: متى غضبتُ؟
عز الدين: منذ لحظة.
سعاد: أهو غضب؟!
عز الدين (وهو يَجرَع فنجانه): وما هو إذن؟

سعاد: يأس.
عز الدين (يسيغ الشاي بصعوبةٍ): ما هذه المرارة؟
سعاد (في شيءٍ من الاضطراب): مرارة الشاي؟
عز الدين: أيمكن أن يكون الشاي مرًّا هكذا؟!
سعاد (تتمالك نفسها): الشاي في مثل هذه الأماكن ليس في الغالب من الصنف الجيد.
عز الدين (وهو يُواصِل الشرب): معقول!

(سعاد تُحدِّق في وجهه.)

عز الدين (وهو يضع فنجانه وقد شربه): لماذا تنظرين إليَّ هكذا؟
سعاد: ما هو؟ ... ما هو شعورك الآن؟
عز الدين: شعوري؟
سعاد: نعم ... أقصد شعورك العام.
عز الدين (باسمًا): بخير ... على كل حال، ليس هو شعور اليأس.
سعاد: لا شك عندي في ذلك ... وما هو المُوجِب عندك أنت لليأس؟ ... إن هذا الموقف هو وليد رغبتك أنت وإرادتك وتصميمك!
عز الدين: أي موقف؟
سعاد: أظن الإشارة تكفي.
عز الدين: أتعتقدين أني ذكي؟
سعاد: الموضوع لا يحتاج إلى ذكاء.
عز الدين: الموضوع يا «سعاد» هو أنك تنظرين إلى الأشياء بمنظار أسود.
سعاد: لا ... إني لا أستخدم المنظار في النظر إلى الأشياء ... إني أبصر بالعين المُجرَّدة ... وأرى الأسود أسود، والأبيض أبيض ... إني حقًّا يائسة ... ولكني لست متشائمة ... إني أرى الموقف على حقيقته، ولكني على الرغم من ذلك لم أقف مكتوفة اليدين ... نعم ... ثِقْ أني لست ممن يقفون أمام المصاعب مكتوفي الأيدي.
عز الدين: ماذا أنت صانعة؟
سعاد: صنعتُ وانتهى الأمر.
عز الدين: صنعتِ ماذا يا سعاد؟
سعاد: فلنترك النتائج تتكلَّم ... هلمَّ بنا!

عز الدين: إلى أين؟
سعاد (ناهضةً)**:** إلى بيتي.
عز الدين: بهذه السرعة؟ ... تعودين إلى البيت!
سعاد (وهي تتحرَّك مُطرِقةً)**:** أريد أن أخلو إلى نفسي!
عز الدين: انتظري ... انتظري حتى أدفع ... (ينادي) يا ... يا جرسون!
الخادم (يظهر مهرولًا)**:** أفندم.
عز الدين: حسابك ...
الخادم: عشرون قرشًا فقط يا سعادة البك.
عز الدين (وهو يدفع له النقود)**:** على شايكم المُر.
الخادم: مُر؟!
عز الدين (وهو منصرف)**:** حنظل!

(يذهب «عز الدين» و«سعاد» ... ويبقى الخادم لينظف المائدة ويحمل الأباريق والفناجين وهو يغني أغنيته الشعبية، فيدخل عليه خادم آخر مسرعًا.)

الخادم الثاني (للخادم الأول)**:** يا عوضين!
الخادم الأول: «نعمين!»
الخادم الثاني: اسمح لي أقول لجنابك إنك حمار برأسين! ... وإننا جميعًا بإذن الله سندخل بسببك اللومان!
الخادم الأول: اللومان؟
الخادم الثاني: الحكاية التي قلتها لي الساعة دارت في مخي، ووجدت فيها مسئولية علينا ... ست تعطيك قطعة سكر مشبوهة لتضعها بعد ذلك في فنجان الأفندي ... مَن أدرانا أنها ليست مسمومة؟! ... إذا ظهر في الأمر جريمة، واتضح أن قطعة السكر التي سمَّت الأفندي كانت في السكَّريَّة تعلقنا ... أليس نتيجة ذلك، يا «عوضين» يا حيوان، أننا جميعًا نروح في الحديد؟!
الخادم الأول: يا نهار أغبر! ... كلام تمام ... خصوصًا والأفندي قال إن الشاي مر حنظل! ... والعمل؟ والعمل؟ ... نمسك الست السمَّاوية؟
الخادم الثاني: اصبر، اصبر ... خذ المسألة بالراحة!
الخادم الأول: قل لي الحل.

الخادم الثاني: الحل أننا نقول للأفندي الحكاية التي حصلت بالتمام والكمال ... ونخلي مسئوليتنا.

الخادم الأول: كلام طيب. الأفندي واقف قدامنا مع الست تحت الشجرة ... انتظرني.

الخادم الثاني (يستوقفه)**:** أستقول له في حضورها؟!

الخادم الأول: وأضع أصابعي في عينيها.

الخادم الثاني: حمار!

الخادم الأول: وآخرتها معك؟ ... حيرتني!

الخادم الثاني: بالذوق ... الذوق ليس أحسن منه ... نادي الأفندي هنا وفهِّمه في السر.

الخادم الأول: أناديه بأي طريقة؟

الخادم الثاني: يا حفيظ! ... دماغك مقفول بقفل «مصدي»! ... اتركني أنا أتصرَّف!

الخادم الأول: تصرَّف يا سيدي.

الخادم الثاني (يتجه إلى آخِر المكان وينادي)**:** يا حضرة الأفندي ... يا حضرة البك ... تسمح هنا دقيقة ... حصل غلط في الحساب.

الخادم الأول (وهو ينظر إلى جهة الشجرة في الخارج)**:** العقل زينة! الله ينور عليك يا «أبو درش»! ... الأفندي سمع كلامك وجعل الست تنتظر تحت الشجرة ... وأقبل جهتنا.

الخادم الثاني: مهمتي أنا انتهت ... عليك أنت الباقي ... قل له ما حصل بالضبط ... لا زائد ولا ناقص.

الخادم الأول: وأنت؟

الخادم الثاني: موجود ... أسمع لا غير.

الخادم الأول: تسمع وتسندني عند اللزوم.

الخادم الثاني: عند حصول «تلبيخ» من جنابك؟ ... مفهوم!

(عز الدين يظهر.)

عز الدين (للخادم)**:** من الذي غلط في الحساب؟! ... أنا أو أنت؟

الخادم الأول: الحساب مضبوط يا سعادة البك ... الغرض كله أننا نقول لحضرتك كلمة صغيرة في السر!

عز الدين: كلمة؟ ... تفضل!

الخادم الأول (يتنحنح): المسألة بسيطة جدًّا ... ولا نحب أن نُطيل عليك ... الست التي كانت هنا مع حضرتك وضعت لك السم في فنجان الشاي!

عز الدين (صائحًا): السم؟!

الخادم الثاني (يتدخَّل بسرعة): اهدأ يا بك ... زميلي غلط في الكلام ... إنه يريد أن يقول إنها وضعت شيئًا في الفنجان ... وهذا الشيء لا يعرف حقيقتَه أحدٌ منا ... وليس من حقِّه أن يقول إنه سم أو غير سم.

عز الدين (مضطربًا): وضعت لي السم؟!

الخادم الأول: لا يا سعادة البك ... ليس هذا قصدي ... الحكاية أنها وضعت لك قطعة من سكر من عندها ... لا من عندنا؛ فإذا حصل لجنابك شيء فنحن غير مسئولين!

عز الدين (كالمُخاطِب نفسه): سمَّتني؟ ... «سعاد»؟!

(يرتمي على كرسي ويُمسك ببطنه.)

الخادم الثاني: لا تنزعج يا سعادة البك هكذا! ... ما دمتَ لم تشعر بشيء للآن!

الخادم الأول: البك قال إنه شعر بطعم الشاي في مرارة الحنظل.

عز الدين: نعم، نعم ... فهمتُ الآن، فهمتُ.

الخادم الأول: الشاي لا يمكن أن يكون في مرارة الحنظل أبدًا!

الخادم الثاني: اسكت أنت!

عز الدين: البوليس ... استدعوا البوليس!

الخادم الأول: هل تشعر جنابك الآن بشيء؟

عز الدين (وهو يُمسك ببطنه): مغص!

الخادم الأول: مغص؟!

عز الدين (صائحًا): طبعًا ... إني مسموم.

الخادم الأول (في حيرة): والعمل؟

عز الدين (صائحًا): طبيب ... استدعوا الطبيب! ... ألا يوجد بالقرب من هنا طبيب؟

الخادم الثاني: نطلب الإسعاف بالتلفون؟

عز الدين: نعم ... الإسعاف.

الخادم الثاني: بسرعة يا «عوضين»! ... اطلب الإسعاف بالتلفون، وبلغ نقطة «بوليس» الزمالك!

الخادم الأول: يا للكارثة! ... مصيبة ونزلت علينا في الجنينة!

الخادم الثاني: من عقلك الوسخ ... لو كنت قلت لي ساعة الست ما سلمتك الورقة الملفوفة، كنَّا عرفنا نتصرَّف ونمنع القدَر قبل وقوعه!

الخادم الأول: نمنع القدَر؟! ... المكتوب على الجبين تراه العين ولو بعد حين.

الخادم الثاني: أهذا وقت الأمثال والمواعظ؟! ... أسرِع يا «عوضين» ... الأفندي وجهه أصفر كركم.

الخادم الأول (وهو يتحرَّك مسرعًا)**:** رقم الإسعاف كم؟

الخادم الثاني: اسأل السنترال يا أخي!

الخادم الأول (يرى سعاد مقبلة)**:** الست!

سعاد (تدخل مُسرِعةً)**:** ما هو الموضوع؟ ماذا حصل يا عز الدين؟

الخادم الأول: قطعة السكر إياها.

سعاد: أقلتَ له؟

الخادم الأول: طبعًا قلت له ... الحكاية كبيرة ... وفيها مسئولية علينا!

عز الدين (لسعاد)**:** وضعتِ لي هذه القطعة في الفنجان؟

سعاد: نعم يا عز الدين وضعتُها.

عز الدين: معترفة! ... اذهبي إذن ... بل ابقَي ... وانتظري البوليس!

سعاد: البوليس؟

عز الدين: هذا هو تصميمك إذن؟ ... أن تقتليني بالسم!

سعاد: ما هذا الذي تقول؟

عز الدين: فهمتُ الآن ... الآن بعد فوات الأوان ... قولك إنك لن تقفي مني مكتوفة اليدين.

سعاد: أقتلك بالسم؟! ... أأنت جُنِنت؟

عز الدين (صائحًا)**:** أحشائي ستتمزَّق بعد قليل ... اصنعوا شيئًا من فضلكم، ولا تقفوا هكذا تشاهدون!

الخادم الثاني (صائحًا)**:** الإسعاف يا «عوضين»!

سعاد (للخادم مستوقفةً)**:** انتظر! (تقترب من عز الدين كالوالهة) ... «عز الدين» ... «عز» ... ماذا أسمع؟ ... أأنت جاد؟ ... أتؤلمك أحشاؤك حقًّا؟ ... هذا مستحيل ... ماذا تناولت؟ ... ماذا شربت؟

عز الدين: لم أشرب غير الشاي الذي وضعتِ لي فيه أنت قطعة السكر!

سعاد: ما هذا الهراء؟

عز الدين: ابتعدي عني ... ابتعدي ... ابتعدي!

سعاد: أبتعد عنك يا عز؟! ... أهذا معقول؟!

عز الدين: ماذا تريدين مني بعد ذلك؟ ... روحي وانتزعتِها مني ... في شربة!

سعاد (وهي تلتفت إلى المائدة)**:** أين الفنجان؟ ... فنجانك الذي شربت منه؟!

عز الدين: لا ... لا تلمسيه قبل الشروع في التحقيق.

سعاد (وهي تسرع إلى التقاط الفنجان)**:** أي تحقيق؟ ... لا تفقد صوابك يا «عز الدين» بهذه السرعة ... أليس هذا فنجانك الذي شربت منه الساعة؟

عز الدين: نعم هو بعينه ... لأنه بدون لبن.

سعاد: انظر، لا تزال فيه بقية لم تشربها أنت ... بقية تقرب من النصف!

عز الدين: ماذا أنت صانعة؟

سعاد: هذا ... (تتجرَّع بقية الفنجان دفعة واحدة.)

عز الدين (مأخوذًا)**:** السم ... أنت أيضًا؟

سعاد: نعم، لنموت معًا ... استرحتَ الآن؟

الخادم الأول: الله! ... كمثل رواية السيما يا «أبو درش» روميو وجولييت!

الخادم الثاني: هس! ... اسكت أنت!

الخادم الأول: ومركزنا في الحكاية؟

الخادم الثاني (يشير إليه بإصبعه على فمه)**:** قلت لك: اسكت!

سعاد (لعز الدين المأخوذ)**:** استراح بالك يا «عز الدين»؟!

عز الدين (يُفيق)**:** أبدًا ... نموت معًا؟ ... وما ذنبي أنا أموت ... ومن قال لك إني أريد أن أموت؟! ... وبأيِّ حق تفعلين هذه الفعلة بدون رأيي؟ ... وتنقلينني من هذا العالم بدون إذني؟!

سعاد: أليس لي الحق، لو كنتَ زوجي، أن أنقلك من شقَّة ضيقة إلى شقَّة أوسع بدون إذنك؟!

عز الدين: شقة أوسع؟

سعاد: جدًّا ... جدًّا ... وهل هناك أوسع من العالم الآخَر؟ ... هناك على الأقل لا نحتاج إلى عقد زواج لنكون معًا طول الوقت ... إلى أبد الآبدين!

عز الدين (صائحًا): يا للمصيبة!

سعاد: بالعكس ... إنها السعادة!

عز الدين (صائحًا): يا «جرسون» ... بوليس!

سعاد (صائحةً): يا «جرسون» ... قهوة!

الخادم الأول (للخادم الثاني): رأيك ... أُحضر أي طلب؟

الخادم الثاني: أَحضِر الطلب الذي فيه «بقشيش».

الخادم الأول (صائحًا): اثنين قهوة!

عز الدين (صائحًا): لا أريد الموت ... لا أريد أن أموت ... وأنتِ أيَّتها السفَّاكة، من أيِّ شيء أنتِ مصنوعة؟! ألا تخافين الموت؟! ... ألا تشعرين بمغص؟! ... لماذا لم تخبريني قبل ارتكاب الجريمة؟ ... ثقي أني كنتُ تزوجتُك في الحال ... وارتباطنا في هذه الحياة خير من الارتباط في حياة الأبد.

سعاد: حقًّا ... كان ارتباطك في الحياة المؤقتة أهون لك وأخف وطأةً؛ لأن الأبد طويل ... ولكن ما الحيلة معك وقد كنتَ تُراوِغ وتتهرَّب من مجرد لفظ الزواج ... من لم يَرْضَ بالخوخ يَرْضَ بشرابه!

عز الدين: ليتَني رضيتُ بالخوخ وبالقطران أيضًا! ... آه ... لا أريد الأبدية ... لا أريد أن أموت!

سعاد: حتى ولا معي؟

عز الدين: لا معك ولا بمفردي ... الروح حلوة ... أريد أن أعيش!

سعاد: معًا ... في هذه الدنيا ... هذه الشقة الصغيرة؟!

عز الدين: معًا ولو على قارعة الطريق!

سعاد: ستعيش يا عز!

عز الدين: أعيش؟! ... والسم؟

سعاد: لا يوجد سم!

عز الدين: والمغص؟

سعاد: لا يوجد مغص ... هو الوهم ... إني واثقة أنه الوهم.

عز الدين: وقطعة السكر التي وضعتِها لي في الفنجان؟

سعاد: لا يوجد فيها أيُّ مادة ضارة.

عز الدين: وما هو الدليل؟

سعاد: لو كان فيها ما يضر لما شربتُ بقية فنجانك، مهما تَكُن النتيجة.

عز الدين: معقول!

سعاد (للخادمَين الواقفَين)**:** هل تريدان أن تتفرَّجا وتشاهدا فصلًا آخَر؟!

الخادمان (في ارتباك)**:** لا ... يا ست!

سعاد: أسرِعا إذن بالقهوة ... سكَّر على الريحة.

(الخادمان يخرجان.)

عز الدين (في شك)**:** أقسمي لي يا «سعاد» أنك لم تَسُمِّيني.

سعاد: أَسُمُّك؟! ... أليس لك عقل يفكِّر؟! ... بالعقل والمنطق، ما هي مصلحتي في ذلك؟

عز الدين: اليأس مني.

سعاد: اليأس منك ملأ نفسي حقًّا ... ولكن هذا اليأس لا يمكن أن يدفعني إلى قتلك أنت ... بل قد يدفعني إلى قتل نفسي!

عز الدين: معقول ... فضلًا عن أن كل هذا لا يحل الموضوع ... ولا يُقدِّم ولا يُؤخِّر.

سعاد: بالضبط.

عز الدين: كان الأمر إذن دعابة.

سعاد: نعم ... لا أكثر ولا أقل ... وقد أثمرت الدعابة، وحصلتُ بفضلها على وعدٍ منك صريح.

عز الدين: أيُّ وعد صريح؟

سعاد: ألم تَقُل الآن إنك تريد الارتباط بي في هذه الدنيا ... هذه الشقة الصغيرة، ولو على قارعة الطريق؟!

عز الدين: أصدَّقتِ هذه الدعابة؟!

سعاد: أكانت دعابة؟!

عز الدين: طبعًا ... دعابة ردًّا على دعابتك ... «خالصين»!

سعاد: متشكرة جدًّا!

عز الدين: العفو!

سعاد: هكذا رجعتَ سريعًا في كلامك ... وحنثتَ بوعدك ... لم يَكَد يعود إليك الاطمئنان على حياتك الضيِّقة، حتى بادرتَ تطرد منها أخلَصَ الناس إليك.

عز الدين: أَعُدتِ إلى اليأس مني؟

سعاد (بعزم)**:** نعم ... ولكن محالٌ أن أُسلِّم بالهزيمة، أو أركن إلى الفرار ... إنك ملكي ... وفي قبضتي ... على الرغم منك.

عز الدين: على الرغم مني؟

سعاد: وعلى الرغم مني أنا أيضًا؛ فأنا كالمصيدة، وأنت كالفأر؛ فما أنا بمستطيعة أن أفتح بابي لأُطلِقك ... وما أنت بمستطيع أن تخرج من تلقاء نفسك ... لم تَعُد لنا إرادة الأمر!

عز الدين (كالساخر)**:** منذ متى؟

سعاد: منذ لحظة.

عز الدين: شيء عجيب! ... ما الذي حدث منذ لحظة؟

سعاد: وسيلة فعَّالة اتخذتُها ... ألم أَقُل لك إني لن أُحجِم عن اتخاذ أي وسيلة؟

عز الدين: ما هي هذه الوسيلة؟

سعاد: وَضْع تلك القطعة في فنجانك.

عز الدين: آه ... عُدْنا إلى تلك القطعة الملعونة.

سعاد: لا تَخَفْ ... قلتُ لك ليس فيها ما يضر ... ولكن قد يكون فيها ما يُخجِل.

عز الدين: يُخجِل؟ ... يُخجِل مَن؟

سعاد: يُخجِل إنسانة مثلي.

عز الدين: لستُ أفهم.

سعاد: في هذه القطعة سحر ... أو على الأصح عمل، كما يقولون ... نعم ... فيها طلاسم وتمائم وأشياء لا أفهمها مما يُكتَب على الأحجبة، قيل إنها مُجرَّبة ومضمونة التأثير!

عز الدين: لمن هذا؟

سعاد: لك أنت بالطبع.

عز الدين: تسحرينني؟!

سعاد: أَسحَرُ إرادتكَ لتُقدِم وتتشجَّع وتتزوَّج! ... هذا كلُّ ما في الأمر!

عز الدين: يا للسخافة! ... أنتِ تفعلين هذا؟! ... فتاة مثقفة مثلكِ ... درسَتْ في الجامعة ... تلجأ إلى السحر والتنجيم؟!

سعاد: احتقرتَني؟

عز الدين: تفعلين ما يفعله العامَّة والجُهَلاء؟!

سعاد: أفعل كل شيء في سبيل الحصول عليك.

عز الدين: سعاد ... إني لا أستطيع أن أتصوَّر ذلك!

سعاد: ضع نفسك في محلِّي تجد هذا طبيعيًّا ... إنك لي يا «عز» كل شيء! ... إنك كل هدفي في الحياة ... إنك تذهب إلى عملك فتفكِّر فيه وأنا كل عملي الذي أفكر فيه هو أنت ... أنت أَمسِي ويومي وغدي ... وأُفُقي الذي أتطلَّع إليه في كل شروق وكل غروب!

عز الدين: أنتِ؟ أنتِ يا «سعاد» تؤمنين حقًّا بهذه الخرافات؟

سعاد: أُومِنُ بكل ما يُوصِّلني إليكَ ... كل إنسان يؤمن بما يُحقِّق له أمله ... أنتَ يا «عز» ... لماذا تؤمن بحزبك؟ أليس لأنَّه سيُوصِّلك إلى هدفك في الترقية؟

عز الدين: أَوَتُقارِنين حزبي المُصلِح بسحرك وتنجيمك؟

سعاد: إنك ترى حزبك مُصلِحًا لأنَّه سيقضي على محسوبية الآخرين حقًّا، ولكن لمصلحة محسوبيتك أنتَ! ... ثِقْ يا «عز» أنَّه ليس من السهل التجرُّد من ذلك ... كل شيء صالح ... وكل شيء مُصلِح، وكل شيء فيه صلاح وإصلاح ما دام في مصلحتنا!

عز الدين: كلام فارغ!

سعاد: لا تخدع نفسك! ... إن الله — تعالى — نفسه لا يؤمن به بعض الناس إلَّا لاعتقادهم أنه سيُحقِّق لهم أمانيهم ... إن المجرم على حبل المشنقة له أمل في الله أن يغفر جريمته، ويُدخِلَه آخِر الأمر جنتَه، لولا ذلك ما هتف باسمه في آخر لحظاته ... ليس على الأرض إنسان يرفض الإيمان بما فيه النفع له.

عز الدين: لا، لا تحاولي أن تُبرِّري التجاء مثلكِ إلى السحر والتنجيم!

سعاد: وما الضرر في هذا الالتجاء، إذا كان فيه فرصة للنجاح، ولو بمقدار واحد في المائة؟

عز الدين: ما هذا الخبل؟ ... فرصة للنجاح! ... أنت إذن مُصِرَّة على أن هذه التمائم والتعاويذ يمكن أن تؤدي إلى نتيجة؟

سعاد: وأيُّ نتيجة؟ ... نتيجة باهرة يحار لها العقل ... وقريبًا جدًّا ... أقرب مما تظنُّ ومما كنتُ أظنُّ ... الآن على الأخصِّ أدركتُ أن لها مفعولًا عجيبًا.

عز الدين: مفعولًا عجيبًا!

سعاد: نعم ... بدأتُ أشعر بذلك الآن ... أَنسيتَ أني شربتُ ما بقي في الفنجان؟! ... هذا الباقي لم يكن بالقدر القليل ... إنه يكاد يساوي القدر الذي شربتَه أنت.

عز الدين: بدأتِ تشعرين بماذا؟

سعاد: بدأتُ أشعر بنوعٍ من ... من إحساس غريب ... لا أدري كيف أَصِفُه ... وأنتَ ... ألم تشعر بعدُ بشيء؟

عز الدين: لا!

سعاد (تُحملِق فيه جيدًا)**:** أأنت متأكد؟

عز الدين: بماذا تريدين أن أشعر؟

سعاد: لا بد أن تكون الآن قد بدأتَ تشعر بشيء!

عز الدين: شيء مثل ماذا؟

سعاد: مثل الذي أشعر أنا به.

عز الدين: وما الذي تشعرين أنت به؟

سعاد: جفاف ... أشعر بجفاف حلقي!

عز الدين (يبلع ريقه)**:** عجبًا! ... أنا أيضًا أشعر بجفاف في حلقي!

سعاد (في لهجة الانتصار)**:** أرأيتَ؟

عز الدين: حقًّا ... (يتنبَّه فجأةً) انتظري ... أتضحكين من ذقني؟ ... هذا الجفاف في الحلق لا بد أن يكون من الشاي المر الذي تجرَّعناه معًا!

سعاد (بخُبثٍ)**:** طبعًا ... وهل قصدتُ أنا غير ذلك؟!

عز الدين: آه ... ظننتُ أنك تقصدين شيئًا آخَر.

سعاد: لا ... ثِقْ أني مخلصة في كل مشاعري، ولا يمكن أن أتحدَّث إليك إلا عمَّا يُخالِجني حقيقةً من ظواهر وإحساسات وأعراض.

عز الدين: هذا الجفاف علاجه سهل ... (ينادي) يا جرسون!

الخادم الأول (من الخارج صائحًا)**:** حاضر! (ثم يظهر.)

عز الدين: كوبَين من الماء.

سعاد: والقهوة؟ ... ألم نطلب قهوة؟!

الخادم الأول: قهوة؟! الطلب جد؟!

سعاد: طبعًا جدا! ... وهل بيننا مزاح؟!

الخادم الأول (وهو يخرج)**:** حاضر ... حالًا ... لا مؤاخذة! ... حسبتُها مداعبةً بينكما داخلة في القصة.

عز الدين (وهو ينظر إلى الخادم المنصرف)**:** مداعبة بيننا؟

سعاد: هكذا يُخيَّل إليهم ... أمَّا أنا فلم أَكُن في أي لحظةٍ من اللحظات جادةً معك مثلما أكون الساعة!

عز الدين (يُفكِّر في كلامها مليًّا): وهل هذا من الصواب؟

سعاد: ربما كان هذا فعلًا من الخطأ أو من الجنون ... ولكن الذي وقع قد وقع ... ولم تَعُد لنا حيلة في رد القضاء ... ومَن يدري؟ ... ربما أندم يومًا على هذه الفعلة!

عز الدين: أيُّ فعلة؟

سعاد: هذا السحر الذي سيربطني بك.

عز الدين: وهل هو سيربطك بي؟

سعاد: هذا مُؤكَّد!

عز الدين: متى؟

سعاد (تنظر إلى الساعة في معصمها): في ظرف نصف ساعة!

عز الدين: شيء عجيب!

سعاد: لا تعجب كثيرًا ... هناك أسرار فوق أفهامنا ... والقوى التي تؤثر في النفوس لا تُدرِكها دائمًا عقولنا ... وليس ها هنا مجال شكِّي ... إنما بدأت أشكُّ في مصلحتي أنا فيما أَقدمتُ عليه! ... هل ارتباطي بكَ أنت بالذات أمرٌ كان ينبغي أن أسعى إليه؟

عز الدين: هكذا بهذه السرعة تندمين على الارتباط بي؟!

سعاد: هذا ما يُدهِشني أنا نفسي!

عز الدين: إن للعصفور بهجةً حتى يقع في اليد ... أليس كذلك؟

سعاد: نعم ... الآن وأنتَ في يدي بدأ إدراكي يتسع وعيني تتفتح ... وأراك على حقيقتك ... من أنتَ؟ ... وما قيمتك؟ ... وما فائدتك لي ... بدرجتك الخامسة الإدارية؟

عز الدين: والقلب يا «سعاد» ... أليس له صوتٌ في كل هذا؟

سعاد: أيُّ قلب؟

عز الدين: ذلك الذي كان يقول منذ قليل إن «عز» هو كل عملك الذي تفكرين فيه ... هو أَمسُكِ ويومُكِ وغدُكِ ... وهو أُفُقكِ الذي تتطلَّعين إليه في كل شروق وكل غروب.

سعاد: لعلَّ صوت القلب هو الذي يستطيع أن يخفت صوت الندم.

عز الدين: صوت الندم ... ما هذا الكلام الجديد؟! ... أهذا يا «سعاد» حقًّا شعورك الأخير؟!

سعاد: نعم.

عز الدين: يا للعجب! ... ألم نشرب معًا من فنجان الشاي؟! ... لماذا لم أشعر أنا إذن بشعورك هذا؟!

سعاد: ليس لهذا الشعور دخل في الشاي الذي شربناه ... إنما هو صادر عن عواقب تحقُّق الأمنية.

عز الدين: وإذا كنتِ نادمةً يا سعاد، فلماذا نُقدِم على هذا الزواج؟

سعاد: وكيف نستطيع الرجوع؟

عز الدين: أهو قد تمَّ؟

سعاد: أَوَلَا تشعر بذلك الآن؟

عز الدين: وأنتِ؟

سعاد: إني أشعر.

عز الدين: تشعرين بماذا؟

سعاد: أشعر ... نعم أشعر تمامًا ... هذا الآن واضح ... مفعول الشاي قد سرى في نفسي، ولا سبيل إلى الإنكار ... كلُّ كياني خاضع في هذه الدقيقة لقوةٍ لا أستطيع تعليلها ولا دفعها ... لا بد أنك تشعر يا «عز» في هذه اللحظة ... أنت أيضًا ... بعين هذا الشعور.

عز الدين: أيُّ شعور؟

سعاد: عجيبة! ... ألم تشعر بعد؟

عز الدين: بماذا؟ ... أخبريني بماذا؟ ... أرجوك!

سعاد: هذه القوة الخفية!

عز الدين: أيُّ قوة خفية؟

سعاد: مستحيل ... مستحيل ... إنك تُنكِر ... إنك تُكابِر ... أيمكن أن أحس هذا وحدي من دونك ... وقد شربنا ذلك الشاي معًا؟!

عز الدين: صِفِي لي هذا الشعور، ربَّما كان عندي ولا أعلم!

سعاد: هو نوع من إحساس غامض، يستولي الساعةَ على نفسي، وكأنه يصيح بي من أعماق كياني هذه الصيحة الخافتة: «عز» و«سعاد» شيء واحد ... «عز» و«سعاد» مرتبطان!

عز الدين: هذا صحيح ... إني فعلًا أحس الآن أننا قريبان جدًّا أحدنا إلى الآخر.

سعاد: أرأيت؟

عز الدين: أرى هذا واضحًا في هذه اللحظة!

سعاد: لم يَعُد سبيلٌ إلى الشك في هذا الإحساس!

عز الدين: حقًّا!

سعاد: إنه شيء أقوى منا يا «عز»!

عز الدين: حقيقة ... أقوى منا!

سعاد: «عز» و«سعاد» مرتبطان.

عز الدين: نعم! ... «عز» و«سعاد» مرتبطان.

سعاد: آمنتَ بمفعول السحر؟

عز الدين: السحر؟ ... لا تقولي هذا الكلام الفارغ ... ولا تُشوِّهي جمال هذه اللحظة بهذه الدعابة التافهة ... إني أشعر حقًّا أن شيئًا يربطني إليك الآن برباط قوي ... ولا أحسبني سأندم على الزواج منك كما ندمتِ أنتِ منذ قليل ... إني في الواقع لن أعطيك الآن غير درجتي الخامسة الإدارية ... ولكن مَن يدري؟ ... مَن يدري ماذا يعطينا الغد؟ ... آمني بي يا «سعاد» ... إني في حاجة إلى إيمانك بي ... قولي إني أمسُكِ ويومُكِ وغدُكِ حتى أستطيع أنا أن أُومن بنفسي وغدي ... وأرجوك ... أرجوك ألَّا تندمي مرةً أخرى على هذا الإيمان بي!

سعاد: أخشى أن تندم أنتَ على كلامك هذا، بعد أن تغادرني إلى بيتك الآن.

عز الدين: لن أغادرك إلَّا إلى بيتنا.

سعاد: بيتنا؟

(الخادم الأول يدخل حاملًا صينية القهوة والماء.)

الخادم الأول: القهوة ... سكر على الريحة.

عز الدين (ناهضًا)**:** اسمع يا جرسون ... ألا يوجد بالقرب من هنا ...؟

الخادم الأول (فَزِعًا)**:** خير إن شاء الله! (عز الدين ينتحي بالخادم ناحيةً ويهمس في أذنه بأمر) ... حاضر ... حالًا ... تسمح دقيقة ... زميلي يعرف (يتجه إلى أقصى المكان ويُنادِي) يا «أبو درش»!

الخادم الثاني (من الخارج)**:** نعم يا سي «عوضين»!

الخادم الأول (بصوتٍ خافتٍ ويُدارِي فمه بكفَّيه)**:** تعالَ بسرعة ... البك الزبون إياه الموجود مع الست سألني يوجد بالقرب من هنا ...

الخادم الثاني (من الخارج)**:** مفهوم، مفهوم ... بوليس! ... إسعاف؟

الخادم الأول: لا يا أخي لا، لا ... المسألة كبيرة.

الخادم الثاني (يدخل بلهفة)**:** حانوتي؟

الخادم الأول (بصوت خافت)**:** مأذون!
الخادم الثاني (يبتسم بهدوء)**:** «كويسة!»

(ستار)

هنـــداوي